سُبُلُ الْوِقَايَةِ مِنَ الشُّبُهَاتِ:

كَثُرَتِ الفِتنُ والشُّبُهاتُ في هذا الزَّمانِ، واغتَرَّ بها خَلقٌ كَثيرٌ، فوجَبَ بَيانُ بَعضِ الأُصولِ العامَّةِ الَّتي تُحَصِّنُ المُسلِمَ مِن الشُّبُهاتِ، وتَقيهِ مِن شُرورِها، فنَقولُ ومِن اللهِ الإعانَةُ والتَّسديدُ:

يوصَفُ القُرْآنُ بأنَّهُ:

(١) **مُحْكَمٌ كلُّهُ:** بمَعنى الإتقانِ، أي: ليسَ فيه خَلَلٌ، لا كَذِبَ في أخبارِه، ولا جَورَ في أحكامِه، قالَ تَعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾.

(٢) **مُتَشَابِهٌ كُلُّهُ:** يُشبِهُ بَعضُه بَعضًا في جَودَتِه وكَمالِه، ويُصَدِّقُ بَعضُه بَعضًا، ولا يتناقَضُ، قالَ تَعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾.

(٣) **مِنْهُ الْمُحْكَمُ وَمِنْهُ الْمُتَشَابِهُ:**

- **الْمُحكَمُ:** الَّذي اتَّضح مَعناه وتَبيَّنَ.
- **الْمُتَشَابِهُ:** الَّذي يَخفى مَعناه، وهو نَوعانِ .
  - **الْمُطلَقُ:** الَّذي لا يَعلَمُه إلَّا اللهُ؛ ككَيفِيَّةِ الصِّفاتِ، وحَقائِقِ ما في الجَنَّةِ.
  - **النِّسْبِيُّ:** يَعلَمُه الرَّاسِخونَ في العِلمِ، ويَكونُ عند غَيرِهم مُتشابِهًا.

الحِكمَةُ مِن وُجودِ المُحكَمِ والمُتَشابِهِ في القُرآنِ هي: الفِتنَةُ، والابتِلاءُ، والامتِحانُ، والتَّمحيصُ.

تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ:

ليسَ في القُرآنِ شَيءٌ مُتَشابِهٌ على جَميعِ النَّاسِ مِن حَيثُ المَعنىٰ، ولكِنَّ الخَطأَ في الفَهمِ، ولهذا قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ)، ولم يَقُلْ هذا مَدحًا لنَفسِه، ولكِن ليَعلَمَ النَّاسُ أنَّه ليسَ في كِتابِ اللهِ شَيءٌ لا يُعرَفُ مَعناهُ، إذ لا يُمكِنُ أن تَكونَ هذه الأُمَّةُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ إلىٰ آخِرِها لا تفهَمُ مَعنىٰ القُرآنِ، وأنَّهم يقرؤونَ آياتِ الصِّفاتِ ولا يَفهَمونَ مَعناها.

التَّشَابُهُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ:

الإحكامُ والتَّشابُهُ ليسَ خاصًّا بالقُرآنِ، بل يوجَدُ كذلِكَ في سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، وفي أقوالِ الصَّحابَةِ، والتَّابِعينَ، ومَن بعدَهم مِن أهلِ العِلمِ، والحُكمُ في ذلِكَ كُلِّه واحِدٌ، وهو أن لا يُتَّبَعَ المُتَشابِهُ؛ بل يُرَدُّ إلىٰ المُحكَمِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾، فيَنبَغي للمُسلِمِ أن يتحَرَّىٰ المُحكَمَ الَّذي لا يُختَلَفُ في مَعناه، ويَرُدَّ المُتَشابِهَ المُحتَمِلَ لأكثَرَ مِن مَعنًى إليه، وهذا هو حالُ السَّلَفِ -رَحِمَهم اللهُ-.

تَعَامُلُ السَّلَفِ مَعَ الْمُتَشَابِهِ:

أخرَجَ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الشَّريعَةِ» وغيرُه عن عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيغُ بْنُ عَسَلٍ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «مَنْ أَنْتَ؟»، فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ، فَقَالَ عُمَرُ: «وَأَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ»، ثُمَّ أَهْوَىٰ إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّىٰ شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي.

قصةٌ مُعاصرةٌ:

ما سبَقَ مِن مُعامَلَةِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لصَبيغِ بنِ عَسَلٍ كانَ أنسَبَ في ذلِكَ الزَّمانِ، لكنَّه قد لا يَكونُ مُناسِبًا في بَعضِ الأزمِنَةِ، ولهذا تجِدُ أهلَ العِلمِ تحَرَّونَ الأنسَبَ لحالِ كُلِّ شَخصٍ مِن المُعامَلَةِ.

قالَ أبو عبدِ الرَّحمنِ الظَّاهِريُّ -وكانَ علىٰ مَذهَبِ ابنِ حَزمٍ في إباحَةِ الغِناءِ-: (دخلتُ علىٰ ابنِ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ، فنهَرَني وهو يُردِّدُ: ما أعظَمَ مُصيبَتَكَ عِندَ اللهِ، واغرورَقَت عيناهُ وهو يَدعو لي، فزالَتِ الْمَوْجِدَةُ مِن نَفسِي،وتمزَّقَ قَلبي لصِدقِ هذا الإنسانِ، ولو جادَلَني لكابَرتُ، وقد فتَحَ اللهُ قَلبي لحُسنِ نِيَّتِه، ومُنذُ تِلكَ اللَّحظَةِ تقلَّصَ عندي حُبُّ الغِناءِ، وتولَّدَت عِندي كَراهِيَةٌ له ما كُنتُ أتصَوَّرُ حُدوثَها).

لا يأمَنُ أحدٌ الفِتنَةَ:

لا ينبَغي لأحَدٍ أن يأمَنَ حُصولَ الشُّبهَةِ والافتِتانَ بشَيءٍ مِن الأهواءِ أو المَعاصي، بل إنَّه لا ينبَغي أن يأمَنَ الوُقوعَ في الشِّركِ، وانظُرْ إلىٰ قَولِ إمامِ الحُنَفاءِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾[إبراهيم]، قالَ إبراهيمُ التَّيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (وَمَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟!).

ولهذا يَنبَغي للمُسلِمِ تجَنُّبُ مَواضِعِ الشُّبُهاتِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩﴾[النَّجم]، وقد كانَ الإمامُ أحمَدُ بنُ حنبلٍ رَحِمَهُ اللهُ إذا نظَرَ إلىٰ نصرانِيٍّ أغمَضَ عينَيه، فقيلَ له في ذلِكَ، فقالَ رَحِمَهُ اللهُ: (لَا أَقْدِرُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَىٰ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ وَكَذَبَ عَلَيْهِ)، وما أحسَنَ قَولَ الشَّاعِرِ:

قَالَتِ الْهِرَّةُ قَوْلًا جَامِعًا كُلَّ الْمَعَانِي ... أَشْتَهِي أَنْ لَا أَرَىٰ الْكَلْبَ وَلَا الْكَلْبَ يَرَانِي

دفْعُ الشُّبهة بسُؤال أهل العِلم:

يَنبَغِي لمَن وجَدَ في قَلبِه شُبهَةً أن يُذهِبَها بسُؤالِ أهلِ العِلمِ الرَّاسِخينَ فيه، لعَلَّ اللهَ أن يُذهِبَ ذلِكَ مِن قَلبِه، وينبَغي للعالِمِ إذا سُئِلَ أن يُجيبَ بالدَّليلِ مِن الكِتابِ والسُّنَّةِ، فإنَّهما شِفاءٌ مِن كلِّ داءٍ يُصيبُ القلبَ.

أخرجَ أحمَدُ وأبو داوُدَ وابنُ ماجه عَنِ ابنِ الدَّيْلَمِيِّ قالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ مَا قَبِلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ**»، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ.

الإقلالُ من المُناظَرة والجِدال:

ليتنبَّهِ الدَّاعي إلىٰ اللهِ تَعالىٰ إلىٰ أنَّ الدَّعوَةَ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإلىٰ دينِ الإسلامِ ينبَغي أن تكونَ علىٰ طَريقَةِ الأنبياءِ والسَّلَفِ مِن الصَّحابَةِ ومَن بعدَهم، وذلِكَ بالدَّعوَةِ إلىٰ التَّوحيدِ، وتِلاوَةِ القرآنِ، وذِكرِ سيرَةِ النَّبيِّ ﷺ، لا بكثرَةِ المُناظَرَةِ والمُجادَلَةِ.

أخرَجَ أحمَدُ والتِّرمِذيُّ وابنُ ماجه عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًىٰ كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**»، وقالَ مالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: (لَيْسَ هَذَا الْجِدَالُ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ)، وقالَ: (الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ فِي الْعِلْمِ يَذْهَبُ بِنُورِ الْعِلْمِ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ)، وسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ عن الرَّجُلِ له عِلمٌ بالسُّنَّةِ، أيُجادِلُ عنها؟ فقالَ: (لَا، وَلَكِنْ يُخْبِرُ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ قُبِلَ مِنْهُ وَإِلَّا سَكَتَ).

وليسَ مَعنىٰ هذا أنَّ المُناظَرَةَ مَذمومَةٌ بكُلِّ حالٍ، وإنَّما يتخَيَّرُ الدَّاعي المَوضِعَ اللَّائِقَ بها.

القراءة في كتب المتشابه:

لا يجوزُ القِراءَةُ في كُتُبِ أهلِ الأهواءِ الّتي بُنِيَت على المُتشابِهِ إلّا لطالِبِ العِلمِ المُتمكِّنِ، الّذي يُريدُ الرَّدَّ عليها وبيانَ فَسادِها، أمّا غيرُه فإنّها لا تَزيدُه إلّا حيرةً وغوايَةً، وقد وقَعَ ذلِكَ لكثيرٍ مِن النّاسِ، وحتّىٰ لبَعضِ طلَبَةِ العِلمِ.

ولهذا قالَ الحنابلَةُ: (لَا يَجُوزُ النَّظَرُ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَلَا فِي الْكُتُبِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَىٰ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَا رِوَايَتُهَا)، وجاءَ عندَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ، وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً**».

ومِن ذلِكَ القِراءَةُ فيما شجَرَ بين الصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنَّ أهلَ السُّنَّةِ مُجمِعونَ علىٰ وُجوبِ الكَفِّ عمّا شجَرَ بينَهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتَّرضِّي عليهم، والدُّعاءِ لهم.

أوّل الفرق المتّبعة للشّبهات:

أوّلُ فِرقَةٍ ظهَرَت في الإسلامِ واتَّبَعَتِ المُتَشابِهَ هم القَدَرِيَّةُ، ادَّعَوا اتِّباعَ قولِه تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾[يونس]، فنفَوا تَقديرَ اللهِ للأمورِ، وتَجاهَلوا قولَه تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾[الحديد:٢٢]، ثمَّ ظهَرَ الخوارِجُ فادَّعَوا اتِّباعَ قولِه تَعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾[الأنعام:٥٧]، فاستَحَلُّوا دِماءَ الصَّحابَةِ والمُسلمينَ، وتَجاهَلوا كلَّ النُّصوصِ المُحكَمَةِ في جَوازِ تَحكيمِ العُدولِ، وفي حُرمَةِ دَمِ المُسلِمِ، وغَيرُ ذلِكَ مِن الأمورِ، ثمَّ ظهَرَ الرَّوافِضُ، والمُعتزِلَةُ، والأشاعِرَةُ، وغيرُهم مِن الفِرَقِ.

الرّدّ على الشّبهة:

(١) **ردٌّ مُجمَلٌ:** بأنَّ هذه شُبهَةٌ، وأنَّه ينبَغي رَدُّها إلىٰ المُحكَمِ حسَبَ القاعِدَةِ، وهذا يُحسِنُه كلُّ عامِّيٍّ، فله أن يَقولَ: هذه شُبهَةٌ لا أعلَمُها، ولا أستَطيعُ ردَّها، لكِنّي أعرِفُ أنَّ الشَّرعَ لا تَناقُضَ فيه، فأتمَسَّكُ بالمُحكَمِ.

(٢) **ردٌّ مُفصَّلٌ:** وهذا له أهلُهُ الّذين يُحسِنونَه، ويَكونُ الرَّدُّ مُفَصَّلًا ببيانِ كلامِ المُفسِّرينَ، ودرَجَةِ الحَديثِ ومَعنىٰ مَتنِه، وكلامِ السَّلَفِ، فإذا قيلَ مثلًا: إنَّ قبرَ النَّبيِّ ﷺ في المَسجِدِ، يَقولُ: أُدخِلَ بعدَ موتِ الصَّحابَةِ، وأنكَرَه أهلُ العِلمِ، وأحاطوه بسورٍ، وجعلوا عليه انحرافًا...

أهمّ طرق الوقاية من الشّبهات:

(١) الإخلاصُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ في طلَبِ الحَقِّ، فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُضيِّعُ عبدَه.

(٢) دُعاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ومِن أفضَلِ الدُّعاءِ ما جاءَ عندَ مُسلِمٍ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**».

(٣) احتِسابُ الأجرِ في امتِثالِ طَريقَةِ السَّلَفِ، وعدَمِ قِراءَةِ الشُّبَهِ والإنصاتِ إليها.

(٤) إنكارُ المُنكَرِ ولو بالقَلبِ، فإنَّه يُحيي القَلبَ ويَحمِلُه علىٰ المَعروفِ.

(٥) تَحديدُ مَصادِرِ التَّلَقّي والمَعرِفَةِ بكِبارِ العُلَماءِ، وتَركُ ما عداهم مِن أنصافِ العُلَماءِ، قالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُفْسِدُ الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ: نِصْفُ مُتَكَلِّمٍ، وَنِصْفُ فَقِيهٍ، وَنِصْفُ طَبِيبٍ، وَنِصْفُ نَحْوِيٍّ).

مِنْ أَسْبَابِ انْتِشَارِ الفِتَنِ

(١) **الجهل:** قال تعالىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب]، والجهل مقرونٌ بالفِتنِ، قال ﷺ: «يُقبَضُ العِلمُ، ويَظهَرُ الجَهلُ والفِتَنُ» أي: في آخِرِ الزَّمانِ، نسألُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أن يختِمَ لنا بالحُسنىٰ.

(٢) **اتِّباعُ الهوى:** قالَ تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[الجاثية:٢٣]، وقالَ ﷻ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾[النَّجم].

(٣) **كَيدُ أعداءِ اللهِ لهذه الأُمَّة:** علىٰ اختِلافِ أصنافِهم، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة:١٢٠]، وقالَ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[البقرة:٢١٧].

(٤) **التَّشدُّدُ والتَّنطُّعُ في الدِّين:** قالَ تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥]، وفيما أخرجَه البُخاريُّ عن النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلَبَه، فسدِّدوا وقارِبوا، وأبْشِروا، واسْتعينوا بالغَدْوةِ والرَّوْحةِ، وشَيءٍ مِنَ الدُّلْجةِ**».

(٥) **التَّساهُلُ في سَماعِ الشُّبهاتِ وتَطلُّبِها:** مع عدَمِ أخذِ الاحتياطاتِ اللَّازمةِ مِن التَّأصيلِ الشَّرعيِّ ومُلازمةِ أهلِ العِلمِ، وممَّا ابتُلِي به النَّاسُ في هذا الزَّمانِ كثرةُ مُشاهدةِ مَقاطِعِ اليوتيوب، بل إنَّ بعضَ الدُّعاةِ توهَّمَ أنَّ مِن طُرُقِ إنكارِ المُنكرِ نشرَ المَقاطِعِ الَّتي تُصوِّر فيها بعضَ المُنكَراتِ، أو بعضَ الحَوادِثِ الَّتي تُخِلُّ بالأمنِ بشَكلٍ عارِضٍ، يَحسَبُ أنَّه بنشرِ هذه المَقاطِعِ قد أحسَنَ، وهو في حَقيقةِ الأمرِ مُسيءٌ، ولعلَّه أن يُصيبَ مِن وِزرِ مَن حمَلَته تِلكَ المَقاطِعُ علىٰ فِعلِ المُنكرِ ومَعرفةِ سَبيلِه!

وممَّا يُعينُ علىٰ اجتِنابِ هذا السَّببِ عدَمُ الاشتِراكِ المَفتوحِ في شبكةِ الإنترنتِ، فإنَّه يَحمِلُ علىٰ كثرةِ مُشاهدةِ المَقاطِعِ، وتَصفُّحِ المَواقِعِ.

(٦) **حُبُّ الاستطلاعِ والاستكشاف:** لمَن لا يَملِكُ ما يَحميهِ مِن أضرارِ الشُّبُهاتِ، وهذا السَّببُ كالَّذي قبلَه، والقاعِدةُ أنَّ (السَّلَامَةَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ).

(٧) **الانشِغالُ بما لا فائِدةَ فيه:** وهذا كثيرٌ جِدًّا في هذا الزَّمانِ، فإنَّه ينبَغي للمُسلمِ أن يُشغِلَ نفسَه بما ينفعُها، وأن يَتجنَّبَ الفَراغَ فإنَّه قاتِلٌ، قالَ النَّبيُّ ﷺ فيما أخرجَه البُخاريُّ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»، قالَ ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنْ أَمْعَنَ النَّظَرَ فِي هَذَا) أي: فيما أنعمَ اللَّهُ به علىٰ العِبادِ (كَانَ حَرِيًّا أَلَّا يَذْهَبَ عَنْهُ وَقْتٌ مِنْ صِحَّتِهِ وَفَرَاغِهِ إِلَّا وَيُنْفِقُهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ... فَمَنْ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا، وَغَفَلَ وَسَهَا عَنِ الْتِزَامِ مَا ذَكَرْنَا، وَمَرَّتْ أَيَّامُهُ عَنْهُ فِي سَهْوٍ وَلَهْوٍ، وَعَجَزَ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا لَزِمَهُ لِرَبِّهِ تَعَالَى فَقَدْ غَبَنَ أَيَّامَهُ، وَسَوْفَ يَنْدَمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ).

تَنْبِيهٌ خَطِيرٌ

قالَ الإمامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ) الَّذي اشتَغَلوا بالمُتشابِهِ وأعرَضوا عن المُحكَمِ (أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ)، هذا جزاءُ مَن ترَكَ الكِتابَ والسُّنَّةَ، وأقبَلَ علىٰ الكَلامِ وتتبُّعِ الشُّبُهاتِ.

بعضُ النُّصوصِ الوارِدةِ في التَّحذيرِ مِنَ الشُّبُهاتِ وبيانِ كَيْفِيَّةِ التَّعامُلِ معَها:

(١) منَ القُرآنِ:

نزلَ في فِتنةِ أُمِّ المُؤمِنينَ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قولُه تعالىٰ: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ وأُمُّ المُؤمِنينَ أولىٰ بالخَيرِ مِنهم، ﴿وَقَالُواْ﴾ بألسِنَتِهم: ﴿هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾[النُّور] أي: كَذِبٌ ظاهِرٌ علىٰ أمِّ المُؤمِنينَ رَضِيَ اللهُ عَنها، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا﴾ أي: سَهلًا لا تَبِعَةَ فيه، ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾[النُّور]، وفي هذا زَجرٌ بَليغٌ عنِ التَّهاوُنِ في إشاعةِ الباطِلِ.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت]، نزلَت في أُناسٍ كانوا علىٰ الإسلامِ، وتخلَّفوا عنِ الهِجرةِ، ففتَنَهم المُشرِكونَ فارتَدُّوا عنِ الإسلامِ.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[النِّساء]، فيها إشارةٌ إلىٰ ترْكِ إذاعةِ الشُّبُهاتِ قبلَ التَّحقُّقِ مِنها بسُؤالِ أهلِ العِلمِ الرَّاسِخينَ.

﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾[النِّساء:١٤٠]، يُؤخَذُ مِنها وُجوبُ تَركِ مُجالَسةِ أهلِ الشُّبُهاتِ حالَ خَوضِهم فيها.

(٢) مِن صَحيحِ السُّنَّةِ:

أخرَجَ أحمَدُ وابنُ ماجه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**سَيَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**».

أخرَجَ الشَّيخانِ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا إِنَّ حِمَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**».

أخرَجَ مُسلِمٌ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ: عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**».

أخرَجَ الشَّيخانِ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**».

أخرَجَ أحمَدُ وأبو داوُدَ عنه ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**».